Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(4) ; March 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
17. 2 .2019	7.3.2019	15.3.2019

التجديد في موضوعات الشعر في العصر الإسلامي والأموي

The Renovation in potry themes In the Islamic and Umayyad era

د. محمد خضير فياض الحمداني

Mohammed khudhair fayyadh

قسم اللغة العربية / الآدب الإسلامي

الملخص

يهدف البحث إلى : الكشف عن الموضوعات القديمة التي طُبعت بطابع الدين الإسلامي، والجديدة منها التي لم تكن موجودة قبل ظهوره.

منهج البحث : هو المنهج الوصفي الذي استعمله الباحث لرصد ملامح التجديد في الشعر الإسلامي والأموي مبرزاً مسوغاته ، وتحليل بعض مفرداته الدالة على التجديد .

أهم نتائج البحث: بعد ظهور الإسلام برزت ملامح جديدة الأغراض القديمة كالهجاء والمديح والفخر والرثاء ، فطبعت بطابعه بعد أن كانت تصدر عن روح قبلية جاهلية خالصه ، حيث اضفى الإسلام بقيمه ومعانيه الجديدة التي اقُتبست من كتاب الله تعالى ، كما الغى مضامين اخرى تتنافى معه .

لقد ظهرت اغراض جديدة في العصر الإسلامي والأموي ، حيث اصبح الغزل موضوعاً مستقلاً بذاته ليشمل القصيدة كلها ، والذي سار في اتجاهين الاول : الغزل العذري والثاني : الغزل الصريح ، كما ظهر الشعر السياسي الذي اصبح محوراً للأحزاب السياسية يعبرون فيه عن فكرهم بعد ان اخذ بعداً اسلامياً يتماهى مع حقيقة المشكلة التي تعالجها الأحزاب السياسية التي نشطت في العصر الأموي .

ومن الأغراض الجديدة ظهور شعر الغربة والحنين نتيجة لهجرة المسلمين الى يثرب وارجاء المعمورة لنشر الدين الجديد، ولهذا الغرض دواعي كثيرة لظهوره .

اهـم التوصـيات الـتي خلـص اليهـا البحـث: مواصـلة رصـد ظـاهرة التجديـد في الشـعر الإسـلامي والأموي لتشمل صوره الفنية ومضامينه والفاظه خاصة بعد امتزاج العرب بالأقوام الاخرى.

الكلمات المفتاحية : التجديد ، موضوعات ، الشعر الإسلامي والأموي .

Summary

The aim of the research is to uncover the old topics that were printed in the Islamic religion, and the new ones that did not exist before it appeared.

Research Methodology: The descriptive approach used by the researcher to monitor the features of renewal in Islamic and Umayyad poetry, highlighting his reasons and analyzing some of his vocabulary of renewal.

The most important results of the research: After the emergence of Islam emerged new features old purposes such as spelling, praise, pride and lamentation, and characterized after it was issued by the spirit of tribal Jahiliyya sincere, where Islam has added values and new meanings quoted from the book of God, and canceled other content incompatible with him.

There were new purposes in the Islamic and Umayyad era, where spinning became an independent subject in itself to include the entire poem, which went in two directions: the virgin yarn and the second: the explicit spinning. The political poetry, which became the focus of the political parties, expressed their thought after taking an Islamic dimension Coincides with the reality of the problem dealt with by the political parties that were active in the Umayyad era.

Among the new purposes is the emergence of the poetry of alienation and nostalgia as a result of the migration of Muslims to Yathrib and the rest of the globe to spread the new religion, and for this purpose many reasons for his appearance.

The most important recommendations of the research: to continue to monitor the phenomenon of renewal in Islamic and Umayyad poetry to include its art and its contents and the word especially after the mixing of Arabs with other peoples.

المدخل

بعـد ظهـور الإسـلام في الجزيـرة العربيـة ، واسـتقامة أمـرهِ فيهـا – مضـى الكثـير مـن الشـعراء ينظمـون الشـعر مستضيئين بهديه الكريم . وعندما يُعجب الرسول (ﷺ) بالشعر يقول:

" إن من البيان لسحراً ومن الشعر لحكماً " (١)

[1]) العمدة ٩/١

بل كان الرسول يحضُّ شعراءه حسان بن ثابت وغيره على نظم الشعر حيث اتخذه سلاحاً على المشركين وأعداء الإسلام . وقد حذا الخلفاء الراشدون حذوه (ﷺ) ، فكانوا ينهون عن هجاء الناس بل يعاقبون فيه .

لقد ساعدت معركة الإسلام مع المشركين والمرتدين عنه وفتوح الأمصار في ازدهار حركة الشعر والتجديد في موضوعاته وصوره وألفاظه ومضمونه وما تحمله القصيدة من أفكار . حيث ترك الإسلام آثاراً كبيرة في نفوس شعراء هذا العصر ، فقد أضحت الروح الإسلامية ماثلة في قصائدهم وصُبغت بالصبغة الإسلامية .

وفي العصر الأموي اندفع المسلمون ينشرون دعوة الإسلام السمحة في ربوع الأرض ففتحوا أقطارها وامتزجوا بأهلها مؤثرين ومتأثرين ، فقد استظلوا بظلال الإسلام جميعاً وأخذ الوعاظ والنساك يعظون الناس المواعظ من القرآن الكريم والسنة النبوية فخالجت نفوس الشعراء فأثرت في أشعارهم وموضوعاتها ، فهذا الغزل قد أصابه من البراءة والصفاء والطهارة والنقاء ،مما أتاح لظهور الغزل العذري وشيوعه ،كما نجد تحول الكثير من جوانب المديح إلى وصف الفضائل الدينية في الممدوح كالعدل والتقوى والزهد وغيرها ، وأخذ الهجاء جانباً من تأثره بالروح الإسلامية ومعانيها السامية ، حيث هجا الشعراء خصومهم بالفسق والطغيان والبغي والظلم وانتهاك الحرمات ، كما طبعت مراثي الشهداء بطوابع روح الإسلام والتدرع بالصبر الجميل من الرضا بقضاء الله وقدره وما ينتظرهم من النعيم المقيم، لكن بالرغم من ذلك كانت هناك عناصر جاهلية ضمتها أشعار الشعراء ، وهذا أمر يفرضه واقع المرحلة ،إذ الشعر موجه إلى مشركي العرب فينبغي أن يخاطبوا بمفهومهم .

كما ظهرت موضوعات جديدة كشعر الغربة والاغتراب والحنين إلى الوطن والشوق إلى الأهل والأصحاب بعد أن خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ،وشعر الغزل بشقيه العذري والصريح، ونتيجة للصراع على منصب الخليفة ظهر الشعر السياسي فأضحى لكل حزب شعراء يدافعون عنه ويهاجمون خصومه كالشعر الأموي والزبيري ، والشيعة والخوارج ، فقد عمد الشعراء إلى إعطاء مضامين أشعارهم بعداً دينياً يعبرون عن فكرهم الحزبي واتخذوها ركيزة مهمة ،وكل هذا وذاك سنعرضه في بحثنا الموسوم التجديد في الموضوعات الشعرية في العصر الاسلامي والاموي.

اهمية البحث : لقد أراد الباحث من بحثه أن يسلط الضوء على حركة التجديد في الموضوعات الشعرية في العصر الإسلامي والأموي بعد ظهور الإسلام وانفتاح العرب على الأقوام الأخرى لنشر دعوته .

أهداف البحث : يهدف الباحث دراسة الملامح الجديدة التي طرأت على موضوعات الشعر الذي نشأ ونُظم في بيئة إسلامية، لذا فهو يُعد أول شعر تأثر بشكل واضح ومحسوس بالإسلام، والرد على مَن حاول التشكيك بوجود هذا الأثر الإسلامي في الشعر، بعد ما كان يزعم بأنه جاهلي المضمون والشكل.

حدود البحث : عصرا صدر الإسلام والأموي .

منهج البحث : هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يبدأ الباحث باستعراض الموضوعات الشعرية القديمة، كالهجاء والمديح والرثاء والفخر بغية معرفة الملامح الإسلامية التي طرأت على هذه الأغراض ثم الموضوعات الجديدة كالشعر السياسي، وشعر الغربة والأغتراب والحنين، وشعر الغزل بشقيه الصريح والعذري .

هذا وقد اقتضى البحث ان يضم على مقدمة ومبحثين وخاتمة ضمت نتائج البحث التي توصل إليها وفهرسة المصادر والمراجع .

اما المبحث الاول : الذي كان عنوانه الموضوعات القديمة ذات صبغة إسلامية وضم.

الهجاء والمديح والرثاء والفخر .

أما المبحث الثاني وقد عنونته الموضوعات الإسلامية الجديدة

وضم الغزل بشقية العذري والصريح ، والشعر السياسي للأحزاب، وشعر الغربة والحنين.

المبحث الأول: موضوعات قديمة ذات صبغة إسلامية .

اولاً : الهجاء : كان لظهور الاسلام أثره الكبير في حياة الشعر والشعراء، فقد وقفوا مع الرسول الكريم ﷺ يذودون عنه بأشعارهم، بينما وقف شعراء آخرون من الرسول ﷺ ودعوته المباركة مثل عبدالله ابن الزبعرى ، وضرار ابن الخطاب والحارث ابن هشام وآخرين ممن ذكرهم ابن هشام في السيرة النبوية ، وهم الذين هاجمهم القرآن الكريم بقوله تعالى چ ۇ ۆ ۆ ۈ چ[٢].

أما الشعراء الذين اتبعوا هَديّ الرسول ﷺ وآمنوا به فإن القرآن الكريم استثناهم، بل الرسول ﷺ يدفعهم إلى نصرته كقوله لحسان بن ثابت رضي الله عنه (اهجُ قريشاً فو الله لهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غلس الظلام ، اهجم ومعك جبريل روح القدس)[٣]

والهجاء عند حسان بن ثابت أخذ صورته الجاهلية في بيان الضعة في الأحساب والأنساب والقعود عن حماية الجار والأخذ بالثأر والفرار من ساحة الحرب ، وغيرها من معاني الهجاء وصاحب الأغاني يقول (كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيّرانهم بالمثالب، وكان عبدالله بن رواحة يعيّرهم بالكفر وينسبهم إليه ، فكان في ذلك الزمان أشد شئ عليهم قول حسان وكعب وأهون شئ عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشدُ القول عليهم قول ابن رواحة)[٤] والمتتبع لهجاء المسلمين للمشركين،

---

[٢]) سورة الشعراء آية ٢٢٤

[٣]) العمدة /لابن رشيق/ص ٣١

[٤]) الأغاني /الأصبهاني /١٥/ص٢٨

فهو لا يقذف الأعراض ولا تسبي النساء ولا يتوعد بالدماء وإنما يحذرهم من عذاب جهنم ، كقول عبدالله بن رواحة الذي كان يستمد هجاءه للمشركين من القرآن الكريم على شاكلة قوله:

شهدتُ بأن وعد الله حقٌ وأن النار مثوى الكافرينا[٥]

يقول ابن سلام كان حسان كثير الشعر جيده، وإن أول ما جرى به لسانه حين سلّه على قريش هذه الابيات:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

فإن ابي ووالده وعِرضي لِعرض محمدٍ منكم وِقاءُ

أتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشرّكما لخيركما الفِداءُ [٦]

وذكر ابن سلاّم من هجاء عبدالله بن رواحة لقريش قوله :

تُجالدُ الناس عن عرضٍ فنأسرهم فينا النبيّ وفينا تنزل السورُ

وقد علمتم بأنا ليس غالبنا حيٌّ من الناس إن عزّوا وإن كثروا

يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ماله غيرُ

فثبت الله ما آتاك من حَسنٍ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا[٧]

ومن الملاحظ ان الشاعرين كعب وحسان كانا يرميان المشركين عن بصيرة حين طغت على هجائهما صورة الهجاء القديم ، لأنهما يعلمان أنها الصورة التي تؤذي نفوس المشركين، ولو أنهما رمياهم بعبادة الأوثان والشرك لما نالا منهم، حيث كانت تلك عقيدتهم وهم يعتزون بها، فاتجه كعب وحسان إلى هذه الوجهة ،وعيَّرا فرسانهم وسادتهم بما هم فيه، وطبيعي أن لا نجد هجاءهما خالياً من السب والشتم والطعن في الأحساب والأنساب ، في حين نجد شعراء العصر الأموي قد طبعت أشعارهم بطوابع جديدة غير مألوفة في عصر الوثنية، وما ذاك إلا لأن الشعر تعبير نفسي عما يؤثر فيها من ظروف مادية أو معنوية، فالشعر الأموي أنشأ في ظروف جديدة بعد بزوغ فجر الإسلام ، وأصبحت الحياة في ظله نقية صالحة، مما أثرت في حياة الشاعر الفنية ، بل تطورت في صور شتى ، (والقارئ لشعر الفرزدق الذي اشتهر بمجونه وفسقه يعرف أنه تأثر بالإسلام ، ولم ينفصل عنه ، فيروى أنه قيّد نفسه وآلى أن لا ينزع القيد من رجله حتى يحفظ القرآن)[٨]

ومن الظريف أن نقرأ في ديوان الفرزدق قصيدة يهجو فيها إبليس فيقول فيها :

ألم ترني عاهدتُ ربي وإنني لبين رتاجٍ قائماً ومقام

---

[٥]) الاستيعاب لابن عبد البر ص١١٩)

[٦]) الاغاني /الاصبهاني/ج٤/ص١٣٩والاستيعاب لابن عبد البر ص١٢٩)

[٧]) الاستيعاب ص١٢١

[٨]) (آمالي المرتضى/ج١/ص٦٣)

علىّ قسمٍ لا اشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فيَّ سوءُ كلامِ
أطعتك يا إبليس سبعين حجة فلما انتهى شيبي وتمَّ تمامي
فررتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني ملاقٍ لأيام المنون حمامي
يبشرني أن لن أموت وأنه سيخلدني في جنة وسلامي
لآدم قد أخرجته وهو ساكنٌ وزوجته من خير دارِ مقامِ[٩]

وعلى هذا النهج يسترسل الفرزدق في هجاء عدو الإنسان إبليس، والذي يوحي بنزعةٍ دينية كانت تضمها نفسه، ومستمداً من القرآن الكريم قسماً من تعابيره وقصصه ليكون حاكماً على هجاء الفرزدق .

ومن الولاة الذين هجاهم الشعراء خالد بن عتاب بن ورقاء والي الرّي وأصبهان هجاه أعشى همدان حين جفاه فيقول :

ويركب رأسه في كل وحل ويعثرُ في الطريق المستقيم[١٠]

ويقول الجاحظ : (إذا بلغ السيدُ في السؤدد والكمال حسده من الأشراف مَن يظن أنه الأحق منه ، وفخرت به عشيرته فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه)[١١] كما قرر الجاحظ : (أن الهجاء كان شيئاً عاماً عند العرب وأن بيتا شريفا لم يخلُ منه فهو قصاص الشرف في نفوس الأعداء للقبيلة، فكل قبيلة من قبائل العرب يستحدث حجراً كبيراً يقذف به خصومها وينهض له خصم من القبيلة فيرد حجره إلى رأسه ورأس قبيلته)[١٢] ولما أصبح العراق تحت حكم مصعب بن الزبير كان في الكوفة الحكم بن عبدل الذي كان هواه مع بني أمية، فنفاه ابن الزبير إلى الشام الذي حظى بعناية عبد الملك، فحرّض الحكم بن عبدل على قتال ابن الزبير وهجاه بأشعار كثيرة هو وأسرته فيقول:

ياليت شعري وليتُ ربما نفعت هل أبصرنّ بني العوام قد شملوا
بالذلّ والأسر والتشريد إنهم على البرية حَتفٌ حيثما نزلوا [١٣]

ولا نُغالي إذا قلنا : إن الهجاء تحول إلى فن جديد له جذوره القديمة ، فالشاعر الجاهلي لم يكن الهجاء عنده ليقضي به فراغه أو يُضحك به الناس ولم يكن الهجاء حيال خصمه مباشرة ، بل صار الهجاء في العصر الأموي حرفة على نحو ما يصور ذلك أصحاب النقائض الذين أصبح عندهم الهجاء رغبة في إعجاب الناس ورضاهم.

[٩]) ديوان الفرزدق/ ص/١٢٩
[١٠]) ديوان أعشى همدان/ ص٣٣
[١١]) الحيوان / الجاحظ/ج٢/٩٢
[١٢]) الحيوان /ج١ /٣٥٩
[١٣]) معجم الادباء ١٠/٢٢٨

ثانيا : المديح :

دخلت مكة في السنة الثامنة للهجرة في الإسلام، وأخذت وفود الجزيرة العربية ومنهم شعراء قريش تَفدُ على رسول الله ﷺ معلنة بيعتها للإسلام يطلبون العفو والأمن ومنهم كعب بن زهير فأمنّه رسول الله ﷺ وأنشد قصيدته الخالدة التي يصور خوفه وفزعه من رسول الله ﷺ .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

ويقول :

أنبتُ أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

إن الرسول لنور يستضاءُ به مهندٌ من سيوف الله مسلولُ

ويمدح المهاجرين فيقول :

يمشون مشي الجمال الزّهر يعصمهم ضربٌ إذا عرّد السود التنابيلُ

ويمدح الأنصار فيقول :

من سَرّه كرم الحياة فلا يزل في مقنبٍ من صالحي الأنصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبار

ورثوا السيادة كابراً عن كابرٍ إن الكرام هُم بنو الأخيار[١٤]

فكساه النبي ﷺ بردته، فلقبت قصيدته بالبردة والقصيدة تنمّ عن إيمانه العميق بدينه الحنيف، ولعل ذلك يدل دلالة واضحة على تأثر نفسية كعب وشعره بالإسلام تأثراً بالغاً .

وهذا النابغة الجعدي لما نشبت الحروب بين علي ﷺ وخصومه نجده يقف معه في صفين ينظم أشعاراً في مديحه ويهجو خصومه من مثل قوله :

قد علِم المصْرانِ والعِراق أن علياً فحلُها العُتَاق

إن الأُلى جاروك لا أفاقوا لهم سباقٌ ولكم سِباق

قد علمت ذلكم الرفاق سُقتم الى نهج الهدى وساقوا

[١٤]) ديوان كعب بن زهير/ص٦

إلى التي ليس لها عِراقُ في مِلّةٍ عادتُها النفاق[١٥]

وهذا حسان بن ثابت سُمي بحق شاعر الإسلام ورسوله ،فقد عاش يذبُ وينافحُ عن الرسول الكريم ﷺ فقد حظى حسان بن ثابت بمنزلةٍ رفيعة إذ كان رسول الله ﷺ ينشدُ شعره في مسجده ويقسم له من الغنائم، كما أهداه بستاناً وكان خلفاء رسول الله ﷺ يفرضون له من العطاء وله أشعار يمدح بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيقول:

حصان رزان ما تُزنُ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فان (كان ما) قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إليَّ أناملي[١٦]

والقارئُ للشعر الأموي يجد الإسلام قد أثَّر أثراً عميقاً في نفوس شعراء هذا العصر، فأصبح أحدهم لا يمدح أحداً إلا ويضع الصفات الدينية في مدح الممدوح كما في قول ابن قيس الرقيات عن مدحه لمصعب ابن الزبير والي العراق فيقول:

إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

يتقي الله في الأمور وقد أفلح من كان همّهُ الإتقاء[١٧]

صوّر ابن الرقيات مصعباً قبساً من الله تعالى ،إذ لم يكن في ظلمة العصيانِ ، وحكمه فيه من القوة والصلاح والتواضع بعيدا عن الظلم والطغيان والاستبداد بل حكمٌ انقاد به إلى الله وتواضع، ومصعب مسلم تقي يسعى لرضوان الله وفردوسه.

ولما ولي الحكم سليمان بن عبد الملك أصبح الفرزدق شاعراً أمويّاً بعدما قرّبه سلمان بن عبد الملك ،ليكون داعية لحكم بني أميّة ويتغنى باسمه ومآثره، ويخلع عليه من الصفات والألقاب التي تطلق على الخلفاء والأمراء الأمويّين حتى نجده قد غالى الفرزدق كثيراً في مدح خلفاء بني أميّة، وهذا ما نراه في مدحه ليزيد بن عبد الملك فيقول:

ولو كان بَعدَ المصطفى من عباده نبيّ لهم منهم لأمر العزائم

لكنتَ الذي يختاره الله بعدهُ لحمل الأمانات الثقال العظائم

ورثتم خليل الله كل خزانةٍ وكل كتابٍ بالنبوة قائمِ

وحبلك حبل الله مَن يعتصم به إذا ناله يأخُذ به حبلَ سالم[١٨]

---

[١٥]) ديوان النابغة الجعدي /ص٣٣

[١٦]) ديوان حسان بن ثابت/ ص ٦٩

[١٧]) ديوان ابن الرقيات / ص٩١

[١٨]) ديوان الفرزدق /ص٥١٦

ولم يكن الفرزدق الشاعر الوحيد في عصر بني أمية بل زاحمه في إمارة الشعر جرير من كُليب أحد غصون يربوع ، ولما حكم العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، أصبح شاعره الوحيد بلا منازع، ومَن يقرأ شعر جرير في الحجاج يعرف أنه كان يسوس الناس سياسة حازمة فيقول في مدحه :

مَن سدّ مطّلع النفاق عليكم أم مَن يصول كصولة الحجاج
إنّ ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضي البصيرة واضحُ المنهاج
منع الرشا وأراكم سُبل الهدى واللص نكّله عن الإدلاج[١٩]

فالشاعر يصف الحجاج بالشجاعة والقوة والحزم والسرعة في إنفاذ الأمور مع وضوح المنهج، وحارب الفساد والمفسدين من قطاع الطرق واللصوص وأصبح الناس لا يخافون على أموالهم نهباً أو سلباً ومنع الرشا، وبذلك قضى الحجاج على كل أنواع الفساد سواء كان مادياً أو معنوياً.

لقد أخذ يتسع مديح الشعراء للخلفاء والقواد والولاة بالإشادة بجودهم وكرمهم في هذا العصر نتيجة للتغيرات التي حصلت في الحياة العربية بعد مجيء الإسلام .

ثالثا : الرثاء

من أشهر موضوعات الشعر العربي بل يتصدرها، لما فيه من حرارة التعبير ودقة التصوير وصدق التجربة، وأدبنا العربي يحتفظ بتراث ضخم من ألوان المراثي من الجاهلية حتى يومنا الحاضر.

كان الرثاء في العصر الجاهلي جاهلياً معنى ومبنى، إذ الشاعر الجاهلي يرثي الميت بعد فراقه الحياة ، أما الرثاء الإسلامي وبالذات في عصر النبوة كان أصدق رثاءٍ لأنه عصر مبارك رباني ، فهذا حسان بن ثابت يصور مشاعر المسلمين عند وفاة النبي ﷺ فيقول :

وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يومٍ مات فيه محمدٌ
وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يُفقدُ
ما بال عيني لا تنام كأنما كُحِلت مآقيها بكحُل الأرمدِ[٢٠]

ويقول في ابي بكر الصديق:

اذا تذكّرت شجواً من أخي ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما فعلا
الثاني اثنين والمحمود مشهدهُ وأول الناس حرّاً صدّق الرُّسُلا
وكان حِبّ رسول اللهِ قد علموا من البرية لم يعدل به رجلاً[٢١]

[١٩]) ديوان جرير/ ص٩٠
[٢٠]) ديوان حسان/ص٢٩
[٢١]) المصدر نفسه /ص٤١

وحسان في رثائه لأبي بكر يتحدث عن فضائله ومناقبة عند المسلمين فيذكر منزلته من الرسول ﷺ وصحبته في الغار والهجرة وذكر تقواه وخشيته وزهده ورفقه بالمسلمين وعدله وسيرته النقية الطاهرة، وهذا رثاء جديد يختلف عن رثاء الجاهلية فقد جاء بمفردةِ (أخي الثقة) (خير البرية) والمعاني الإسلامية واضحة في شعره .

ولحسان مرثية في عمر بن الخطاب ﷺ بعد وفاته على إثر طعنة فيروز بخنجر مسموم فيقول:

وفجّعنا فيروز لا دَرّ دُرّهُ بأبيض يتلو المحكماتِ مُنيبُ

مُطيعٌ لأمر الله بالحق عارفٌ بُعيد الأنام عنده لقريبُ[٢٢]

ومما يلاحظ على الرثاء الإسلامي أن الإسلام قد هذّب نفس المسلم وجعله يؤمن بالقضاء والقدر، والراثي يسعى لذكر قيم ومُثل من بينها تلاوة القرآن كما يصفه بأنه مطيع لربه عارف بالحق يقضي ليله تهجداً وتسبيحاً بعيداً عن التأسف والبكاء والنوح على الميت كما كان فعل الجاهلية .

كما رثى حسان عثمان بن عفانﷺ بعد ما قتله شُذاذ من العرب وهو يتلو قرآن ربه الكريم فيقول حسان :

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يُقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا [٢٣]

وخَلَفَ علي بن أبي طالبﷺ عثمان بن عفان إذ طعنتهُ يدٌ آثمةٌ ففاضت روحه الطاهرة إلى ربها راضيةً مرضيةً تلك الطعنة منعت بينه وبين ما يريد من جمع المسلمين على كلمة سواء فيقول أبو الأسود الدّؤلي :

إذا استقبلت وجه أبي حُسينٍ رأيتَ البدرَ راقَ الناظرينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناسِ طُرّاً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا وخيّسها ومن ركب السفينا

ألا يا عين ويحكِ فاسعدينا ألا تبكي أمير المؤمنينا

يقيم الدين لا يرتاب فيه ويقضي بالفرائض مستبينا[٢٤]

واضح أنه رثاء إسلامي يتحدث الشاعر عن محامد سيدنا علي ومناقبه وهي معانٍ إسلامية خالصة بل يبرز معنى جديد (أمير المؤمنين) إذ أقام شريعة الله تعالى بإقامته لحدوده وفرائضه التي جاء بها الإسلام ويذكر حرص عليٍّ على الجماعة المؤمنة .

ونمضي إلى عام ٦١هجرية عام استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، فنجد الشعراء يبكونه بدموع لا تجف ، هذا البكاء يطوي في أنفسهم حزنا عميقاً عليه ورغبة كبيرة في الثأر من الذين قتلوه، وربما كانت السمة التي ميزت الشعر في هذه المرحلة، فهي دموع وزفرات على الحسين وعلى زيد بن علي وابنه يحيى ﷺ من مثل قول الشاعر سليمان بن قتّة يرثي سيدنا الحسين فيقول :

---

[٢٢]) المصدر نفسه /ص٦٥

[٢٣]) ديوان حسان/ص ٧٠

[٢٤]) ديوان أبي الأسود /ص١١٧

مررت على أبيات آل محمدٍ فلم أرها كعهدها يوم حُلّتِ
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيّة وقد عظمت تلك الرزايا وجلّتِ
ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً لفقدِ حُسينٍ والبلاد أقشعرّت
وقد أعولتِ السماء لفقده وأنجمها ناحتْ عليه وصلّت[٢٥]

وحينما نمضي إلى العصر الأموي فنجد المراثي مع وفاة كل خليفة أو أمير أو وزير ،ويبقى عمر بن عبدالعزيز أهم خليفة رثاه الشعراء حيث سار على هدى سيرة النبي ﷺ من الزهد والعدالة والتقوى والخشية من الله تعالى، وإيثار الدار الباقية على الفانية فيقول جرير فيه :

ينعي النعاةُ أمير المؤمنينَ لنا يا خير مَن حّجَ بيت الله واعتمرا
حُمّلت أمراً عظيماً فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عُمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا[٢٦]

جرير يتحدث عن تقوى عمر بن عبد العزيز وعبادته وزهده ويفضله عن الكثير من المسلمين في صلاحه ، كما يثني على إقامته لشرع الله تعالى وحمله أمور الخلافة ورعاية الأمة، ويذكر أن الشمس طالعة ليست بكاسفة وتبكي عليه نجوم الليل والقمر .

ومن الجديد في الرثاء الإسلامي تمثّله بروح التسليم بالقضاء والقدر لإرادة اللهِ تعالى وحسن استقبالها والتسلي بما وعد به الله للشهداء من نعيم مقيم .

ونتيجة لانفتاح العرب على بيئات جديدة استحدث لون جديد من الرثاء ذلك أن من المقاتلين من أخذوا يرثون أشلاءهم وأعضاءهم التي يفقدونها في ساحات الوغى حيث يظهر الشاعر من الشجاعة والشدة والبسالة والبأس واحتساب ذلك لله تعالى، فهذا علباء بن جحش العجلي يطعنه العدو في بطنه فيبقرها وتخرج أمعاؤه أمامه – فإذا هو يدفع بها إلى بطنه وهو يرتجز بأرجوزته قائلاً :

أرجو بها من ربنا ثواباً قد كنتُ ممن أحسن الضرابا[٢٧]

لقد اختلف الرثاء الإسلامي عن الجاهلي الذي كان يصدر عن روح قبليّة ونعرةٍ جاهلية في حين أن الرثاء الإسلامي يصدر عن روح الجماعة المؤمنة وتعاليم الدين الإسلامي بما أعده الله للمجاهدين والشهداء من الأجر والثواب .

رابعا: الفخر

[٢٥]) المصدر نفسه/ص٢٠٩
[٢٦]) ديوان جرير /ص١٠٣
[٢٧]) الطبري/ ج٥/ص٣١٠

يقول ابن رشيق(ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير مفاخرة، إلا أن يكون شاعراً فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه)[٢٨]

والفخر ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالهجاء إذ يمثلان محوراً للشعر الجاهلي ،فحين يهجو شاعر قبيلة من القبائل ويحاول الحط من مكانتها ،يسعى في الوقت نفسه إلى مدح قبيلته وإظهار مكانتها وفضائلها الإنسانية وقدراتها الحربية.

والشاعر الجاهلي يفخر بحسبه ونسبه وانتصارات قبيلته في الوقائع، كما يفخر بكفره ويقرّ بأنه متمسك بدين آبائه، مما يجعل الفخر ديواناً حافلاً بقبيلة الشاعر الجاهلي، وبعد ظهور الإسلام استمر الشعراء بالنسج على منوال الفخر الجاهلي نفسه ، وهذا ما تفرضه التجربة التاريخية للشعراء ،إذ نمت مواهبهم الشعرية في العصر الجاهلي، ولكن نجد لذلك استثناءً في قصائد شعرية مبثوثة في كتب الأدب والسير والمغازي وخاصة شعر الفتوحات الإسلامية الذي ضمّ معاني إسلامية صرفة ،وهذا نجده في قصيدة لسُويد بن أبي كاهل اليشكري يفخر فخراً إسلامياً يتحدث فيها عن نِعم الله تعالى فيقول :

كتب الرحمنُ والحمد له سعَة الأخلاق فينا والضّلع
وإباء للدنيات إذا أعطِي المكثور ضيماً فكنع
وبناءً للمعالي إنما يرفع الله ومن شاء وضع
نعَمٌ لله فينا ربّها وصنيع الله، واللهُ صنَع[٢٩]

ويهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ويدخل حسان بن ثابت في الإسلام وينشد فخراً ب(آل هاشم) في مقطوعته الدالية فيقول :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كِفاءُ
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصرُ غير محدود
مستعصمين بحبلٍ غير مُنجذم مستحكمٍ من حبال الله ممدود[٣٠]

وهذا النابغة الجعدي كان يتغنى بانتصارات قومه ويفاخر بهم ويشيد بشجاعتهم ،ففي السنة التاسعة يذهب النابغة وقومه إلى رسول الله ﷺ معلنين البيعة له ،وينشد قصيدة يقول فيها :

بَلغنا السماءَ مجدُنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا
أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا[٣١]

---

[٢٨]) العمدة ٢٥/١

[٢٩]) المفضليات / المفضل الظبي٤٩/١

[٣٠]) ديوان حسان /ص ١٠٣

يشارك النابغة في الفتوحات الإسلامية مجاهداً وساعياً لنشر الدعوة المحمدية، ويصور حياته وتقواه مفاخراً بالعيش في ظل الإسلام ، فقد استضاءت حياته به روحياً وسلوكيًا، فهو يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار فمن الطبيعي أن يتأثر به ويفخر فخراً إسلامياً فيقول:

عُمرتُ حتى جاء أحمدُ بالهدى وقوارعٍ تُتلى من القرآن

ولبستُ مِلْ الإسلام ثوباً واسعاً من سَيب لا حَرِمٍ ولا منّان[٣٢]

وبعد قيام دولة بني أمية، ظل الفخر متأثراً بالفخر الجاهلي، لأن العصبية القبلية كانت المحرك الأساسي للفخر في هذا العصر، والتي عمل الإسلام على إلغائها، حيث ظهرت له ملامح جديدة، جاءت بسبب تأثر الشعراء بالإسلام حيث عبر الشاعر عن رفضه لأي انتماء غير انتمائه للإسلام والذي هو مصدر عزه وفخره، مؤكداً أن التقوى هي معيار التفاضل بين الناس ،فقد مَثَّلَ هذا الفخر الشاعر نهار بن توسعة فيقول :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا فخروا ببكر أو تميم

كلا الحيين ينصرُ مدعيه ليلحقهُ بذي الحسبِ الصميم

وما حَسَبٌ ولو كرمتْ عروق ولكنّ التقيّ هو الكريمُ[٣٣]

وهذا المعنى جديد في الفخر الأموي إذ يعمد الشاعر إلى الفخر بالرموز الإسلامية والدينية موجهاً فخره إلى غير المسلمين، وهذا ما نجده في مفاخرة جرير للأخطل النصراني ، فجرير معتزٌ بالمساجد والأذان والصلاة فيها وهي رموز إسلامية فيقول:

الله فضّلنا وأخزى تغلباً لن تستطيع لما قضى تغييرا

فينا المساجد والإمام ولا ترى في آل تغلب مسجداً معمورا[٣٤] ويتضحُ في كل ما سبق أن الفخر في العصر الأموي ،قد بانت عليه ملامح من التجديد التي جاءت من تأثر الشعراء بقيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها، والتي يمكن أن نسمي هذا الفخر ،الفخر الديني الذي أخذ يتحرك عبر الاتجاهات التي تحدث عنها .

المبحث الثاني : الموضوعات الإسلامية الجديدة

[٣١]) المصدر نفسه/ ص٧٥

[٣٢]) ديوان النابغة الجعدي/ ص٥٧

[٣٣]) شعر الخوارج /ص٧٢

[٣٤]) ديوان جرير/ ٢٢٩/١

اولاً : شعر الغزل : جاء في المخصص أن الغزل هو (الإدارة والنقل ،والإدارة عن أمر ومنه سمي الغزل لاستدارته وسرعة دورانه ، وبه سمي الغزل لسرعته وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعتها)[٣٥]

لقد أجمع أهل اللغة أن الغزل هو التودد إلى النساء والتحدّث إليهن بالاستهواء والمداراة يقول امرؤ القيس :

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

أغركِ مني أن حبكِ قاتلي وأنكِ مهما تأمري القلب يفعلِ[٣٦]

امرؤ القيس يناشدُ محبوبتهُ أن لا تزيدَ في دلالها ،وإن قررت الرحيل فحريٌ بها التريث بعد أن تتيقن أنه سيكون مطواعاً لما تأمر، والعربُ عرفت الغزل حقيقة وخيالاً وقصّوا قصصه شعراً بقصائد حملت عمق انفعالاتهم ودفءَ مشاعرهم فتداخل الغزل في أغراض الشعر فنجده في مقدمات القصائد .

وفي عصر صدر الإسلام جاء الغزل أكثرُ تعففاً وتهذباً ،ولكن ظلت مجموعة من الشعراء تعاقر الخمر فتشبب بالنساء وتتغزل بهن غزلاً فاحشاً كأبي محجن الثقفي ،ولكن ظل الشعر في عمومه يتسم بالغزل العفيف الذي لم ينكرهُ النبيﷺ كما فعل كعب بن زهير عندما جاءه معتذراً له في قصيدته التي بدأها بالغزل فيقول :

بانت سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيمُ إثرها لم يُفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ

هيفاءُ مقبلةً عجزاءٌ مدبرةٌ لا يشتكي قصرٌ منها ولا طولُ[٣٧]

لقد روى صاحب الأغاني (أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنذر الشعراء ألا يُشبب أحدٌ بامرأة إلا جلدهُ)[٣٨] لذلك فقد أخذ الغزل طابعاً جديداً، عاش الإسلام في نفوس الشعراء، فحين يُعبرون عن حبهم يكون مقرونا بالطهارة والبراءة والعفة والسمو ، وهذا ما نجده في قصيدة لحسان بن ثابت حينما تعرّض لمحبوبته بهذه المعاني بعد أن امتدح صبوح وجهها ونعومته فيقول :

منع النومَ بالعشاءِ الهمومُ وخيالٌ إذا تغور النجومُ

من حبيب أصاب قلبك منه سقمٌ فهو داخل مكتومُ

ياقومي هل يقتلُ المرءَ مثلي واهنُ البطش والعظام سوؤم

همها العطر والفراش وتعلوها لُجينٌ ولؤلؤ منظوم[٣٩]

[٣٥]) المخصص /ابن سيدة/ص١١٢

[٣٦]) ديوان امرؤ القيس/ ص٢٣

[٣٧]) ديوان كعب بن زهير/ص٥٤

[٣٨]) الاغاني /ج١/ ص٢٣٤

[٣٩]) ديوان حسان/ ص٤٥

واضح في غزل حسان غزلٌ عفيف طاهرٌ ،وهو بشكل عام لم يشغل مكاناً كبيراً في شعره، إذ غلب عليه المديح والفخر، كما إن أغلب شعره من المقطوعات التي بطبيعتها لا تتيح للشاعر نفساً كبيراً، لذا يكون مضطراً ليباشر موضوعه بلا ولوج إلى مقدمة غزلية .

لقد لقي الغزل الإسلامي تجديداً واضحاً من شعراء عصره ،وأخذ مسارب جديدة بعيداً عن مسارب الجاهلية وخاصة في العصر الأموي ،إذ المتتبع للحركة الشعرية فيه يجد هنالك تفاعلاً كبيراً بين الحياة الإسلامية الجديدة وشعر الغزل نتيجة للمتغيرات الاجتماعية والسياسية ،فقد أصبح غرضاً مستقلاً يشمل القصيدة كلها ، بل صار من أظهر الأغراض الشعرية ، فقد ذهب من الشعراء إلى حصر شعره في الغزل ولم يتجاوزه إلى موضوعات أخرى مثل عمر بن أبي ربيعة، وقيس بن ذريح والحارث بن خالد المخزومي، والغزل الأموي سار في اتجاهين رئيسين :

١- الغزل العذري :

نُسِب إلى قبيلة بني عذرة التي تقطن وادي القرى شمال الحجاز ، غزل طاهر عفيف نقي، يصوّر فيه الشاعر شعوره وخلجاته وآلامه ويبث شكواه لقاء ما يعانيه من البعد والحرمان ،ويسكب فيه العبرات والدموع بانتظار لحظة رؤية المحبوبة يمنحها قلبه بعيداً عن الحسية التي سادت في الغزل الجاهلي، بينما الشاعر العذري ارتبط اسمه بمحبوبته مثل قيس ولبنى ، وكثير عزة ، وجميل بثينة ،قيس وليلى .

لقد كان للإسلام دور كبير في نشأة الغزل العذري حيث طرح هذا التفسير باحثين ونقاداً مثل شكري فيصل ومحمد غنيمي هلال وشوقي ضيف الذي يؤكد هذا المعنى بقوله(ولا شك في أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذي طهّر النفوس وبرأها من كل أثم، وكانت نفوساً ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ولا ما يطوي فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحياناً من قوانين الخُلق الفاضل[٤٠]

لقد ضمّن شعراء الغزل العذري في العصر الأموي قيم الإسلام ومبادئه في شعرهم وأصبحت السمة البارزة لهم ،فهذا قيس بن ذريح يُضمن فكرة القضاء والقدر في شعره بعد طلاقه لبنى ،فيقول:

تُبكّي على لبنى وأنت تركتها وكنت كآتٍ غيّهُ وهو طائع

فلا تبكينْ في إثر شيء ندامةً إذا نزعته من يديك النوازع

فليس لأمر حاول اللهُ جمعهُ مُشتٍ ولا ما فرق الله جامع

أبى اللهُ أن يلقى الرشاد مهنَّمٌ ألا كل أمر جمُّ لابد واقع[٤١]

يحرص شعراء الغزل العذري على الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه من العفة وغض البصر وهذه دفعت جميل بن معمر إلى القول :

---

[٤٠]) العصر الإسلامي/ شوقي / ص٨٢

[٤١]) قيس ولبنى شعر ودراسة/ ص١٠٣

خليلي هل في نظرةٍ بعد توبةٍ أداوي بها قلبي عليّ فحور
إلى رُجح الأكفال هيفٍ خُصورها عِذاب الثنايا ريقهنّ طهور[٤٢]

وشاعر الغزل العذري دائم الصلة بربه يفزع إليه بالدعاء والشكوى ملتجأ إذا أضناه الشوق والوجد، فهذا مجنون ليلى يقول :

لما رأيتُ الصدّ منها ولم تكن ترقّ لشكواتي شكوتُ إلى ربّي[٤٣]

ويقول :

إلى الله أشكو صبوتي بعد كُربتي ونيرانُ شوقي ما بهنّ فتور[٤٤]

القارئ للغزل العذري يجد أن السمة البارزة فيه تصويره لأحاسيس الشاعر الوجدانية بعيداً عن حديث المعاني الحسية التي تصور مفاتن المرأة ، وهذا يعود لأثر الإسلام ودوره الفكري والقيمي في رفعة مكانة المرأة وشأنها المجتمعي ، فيعمد للتوسل إليها بوسيلة جديدة مستقاة من المفاهيم الإسلامية ،فيدعوها بتقوى الله فيه بالكف عن الهجر والاستجابة له فيقول جميل بثينة مخاطبها :

ألا تتقين الله فيمن قتلتِهِ فأمسى إليكم خاشعاً يتضرع
ألا تتقين الله في قتل عاشقٍ له كبدٌ حرّى عليك تقطّع[٤٥]

٢- الغزل الصريح :

يتسم هذا الغزل بتجسيد صورة العلاقة بين الرجل والمرأة تجسيدا يغلب عليه الطابع الحسي، حيث يذكر شاعر الغزل الصريح غزله بالنساء بحثاً عن المتعة، وهو لا يكتفي بامرأة واحدة بل يتغزل بالمتزوجات ،والزائرات ،والحاجات والإماء ، والسبب في تسميته الغزل الصريح على هذا اللون من الغزل لأنه يجعل السامع مغرقاً في الحسية والتي تتعارض مع قيم الإسلام الذي يدعو إلى العفة والطهارة .

انتشر الغزل الصريح في الحجاز ،بالرغم من المكانة الدينية ،فيه مهبط الوحي ومبعث رسالة السلام ،ويرجع بعض ذلك إلى طابع الترف الذي غلب على الحياة الاجتماعية التي تمتع به أبناء الحجاز فضلا عن عدم اهتمام الدولة الأموية بتتبع شعراء الغزل ، كما هو الحال مع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ويستثنى من ذلك ما ذُكر عن عمر بن عبد العزيز، حينما نفى الأحوص إلى قرية من قرى اليمن)[٤٦]

[٤٢]) ديوان جميل /ص٩٣
[٤٣]) ديوان مجنون ليلى/ص٧٦
[٤٤]) المصدر نفسه /ص١٣٧
[٤٥]) ديوان جميل/ ص١١٩
[٤٦]) الاغاني /٩ /ص٦٤

كما انتشرت موجة الغناء في مدن الحجاز، فقصائد الغزل وما فيها أضحت مادة الغناء الحجازي لأن شعر الغزل دائم التجديد، وهذا ما يحققه شعراء الغزل أمثال عمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص . لقد تميزت لغة عمر الشعرية بأنها طُوّعت للغناء الذي يستلزمه الغناء من تنويع الأوزان ومن إيثار القرب ومن البعد عن غلظة الحرف ونفرة الكلمة وثقل التركيب ..... إنه يُؤثر الرقة ،وقد يطلب اللين ،وقد يقف عند الذي يعرف من ذوق العصر وقد يرتفع بالجماعة إليه ... إلى الذي يجده في نفسه فيثير مثله في نفوس الجماعة، ولكنه على كل حال لن يلجأ إلى شيء من تعقيد ولا إلى شيء من معاضلة[٤٧] ولما كانت لغة الغزل الأقرب إلى نفوس الناس وقلوبهم بل الأكثر دوراناً على ألسنتهم، فجاء شعرهُ مطاوعاً للحياة اليومية متمثلا في سهولة اللفظ والقرب من المعنى ، واللين في التركيب، وكان عمر بن أبي ربيعة يقصد التيسير ويصطنع التسهيل ليتحدث بلغة الناس مستعملاً تعابيرهم كالذي نجده في قوله:

أَمِن سخط عليّ صددت عني حملت جنازتي وشهدت قبري[٤٨]

ويقول :

أسال الله عالم الغيب أن ترجع ياحب سالماً مأجورا[٤٩]

وقوله :

بالله رب محمد حدّثيني حقا أما تعجبين من هذا الفتى[٥٠]

ونتيجة لتطويع شعر عمر بن أبي ربيعة للحياة اليومية والتغني به ،فإن تعابيره ولغتهُ لم تتخذ وجه التعبير الشعري في صوره الرفيعة في الشعر الجاهلي ..... بل جاءت أقرب إلى النثر واضحة في لغة العتاب، وفي إدارة الحوار وفي القسم والتبرير[٥١] ، والقارئ لشعر عمر بن أبي ربيعة لا يكاد يجد إلا الغزل وأبياتا منثورةً تتصل بالوصف والفخر والحكمة والمديح ولكنها ليست مجردة أو بعيدة عن الغزل، بل هي تنتهي كلها إلى الغزل كقوله في لاميته:

أبى ليَ عرضي أن أضام وصارمٌ حسامٌ وعزٌّ من حديثٍ وأوّلِ
أولئك آبائي وعزّي ومعقلي إليهم أُثيل فاسألي أين معقلِ[٥٢]

ثانياً :– الشعر السياسي :

---

[٤٧]) تطور الغزل /شكري فيصل /ص٤٦٠

[٤٨]) ديوان عمر بن ابي ربيعة /ص١٢٨

[٤٩]) المصدر نفسه /ص١٢٩

[٥٠]) ديوان ابن ابي ربيعة/ ص٤٧٢

[٥١]) تطور الغزل/شكري فيصل /ص٤٧٠

[٥٢]) ديوان عمر بن ابي ربيعة / ص٣٦٥

يقول أحمد محمد الحوفي إن الشعر السياسي هو (الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييداً أو تفنيداً ، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم)[٥٣] .

والشعر السياسي لم يكن غرضاً بذاته ، فقد يأتي مدحاً أو فخراً أو رثاءً أو هجاءً أو غزلاً ، غير أن هذه الموضوعات تجتمع في مصب واحد لتعبر عن الفكر السياسي لشاعر العصر الإسلامي بغض النظر عن صدق انتمائه .

والشعر السياسي لم يكن وليد العصر الإسلامي بل له امتداد يصل إلى العصر الجاهلي ، حيث القبيلة العربية التي تمثل كياناً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، يعبر عن مصالحها شاعرها الذي يهاجم خصوم قبيلته ويؤيدها في حالة الحرب مع القبائل الأخرى .

ولما ظهر الإسلام وحَّد القبائل العربية ، وأصبحت كياناً واحداً يخضع للدولة الإسلامية ونظامها مما أوجد معارضة سياسية باعثها الصراع على الخلافة والتي أسهم فيها الشعر بدور كبير فيه .

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) سنة خمس وثلاثين من الهجرة وجدت الخلافات السياسية وأضحت الأحزاب جلية، وانقسم المسلمون بين مناصر لمعاوية بن أبي سفيان مطالباً بدم عثمان ، وبين مؤيد لعلي بن أبي طالب (ﷺ) . ونشبت معركتا الجمل وصفين بين الفريقين وسرعان ما خرجت طائفة من جيش علي بن أبي طالب سميت الخوارج رافضين التحكيم بين الفريقين ، حاول إقناعهم فلم ير بداً من قتالهم في معركة النهروان وهزمهم شر هزيمة .

لقد خلف الصراع السياسي شعراً سياسياً، استلهم أفكاره وقيمه من الدين الحنيف ، بعد أن جعله الشعراء إطاراً عاماً تدور حوله أشعارهم وهذا ما نعرضه في الصحائف الآتية :

١- شعر الزبيريين :

بالنظر لقصر المدة التي عاشها حزب الزبيريين في المعارضة السياسية لبني أمية، فقد تميز شعرهم بالقلة التي لا تكاد تذكر قياساً بشعر الأحزاب المعارضة الأخرى. فضلاً عن أن زعيم الحزب عبد الله بن الزبير لم يكن له اهتمام بالشعر والشعراء .

ويعد عبيد الله ابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين الأول ،إلا أن ديوانه لم يكن مقصوراً على شعرهم السياسي بل ضم قصائد غزلية .

إذ يعتبر ابن الرقيات أحد أعلام العصر الأموي في قصائد الغزل بعد ابن أبي ربيعة . كما ضم ديوان ابن الرقيات قصائد في مدح خلفاء بني أمية محاولة منه لاسترضائهم ، لكن تبقى همزية ابن الرقيات في مناصرة

[٥٣]) أدب السياسة في العصر الأموي / ص ٨ .

الزبيريين وهجاء الأمويين الوثيقة التاريخية لحزب الزبيريين، لما ضمته هذه القصيدة من بيان دور ابن الزبير وأحقيتهم بالخلافة وأفكار سياسية أخرى.

يقول ابن قيس الرقيات :

لو بكت هذه السماء على قوم كرامٍ بكت علينا السماءُ
نحن منا النبي الأمّيُّ والصدّيق منا التقي والخلفاءُ
وقتيل الأحزاب حمزة منا أسد الله والسناءُ سناءُ
وعلي وجعفر ذو الجناحين هناك الوصيُّ والشهداءُ
والزبير الذي أجاب رسول الله في الكرب والبلاءُ بلاءُ [٥٤]

يظهر الشاعر في قصيدته حسرته لاختلاف قريش وصراعها حول السلطة محاولاً إثبات أهليتها بالخلافة على من لا يرى خلاف ذلك ومنهم الخوارج ، مشيراً لدورها الإسلامي وإليها ينتسب النبي (ﷺ) وأصحابه كأبي بكر الصديق ، وحمزة وعلي وجعفر بن أبي طالب ثم الزبير بن العوام الذي ينتمي إليه هذا الحزب .

لم يكن قيس ابن الرقيات الوحيد في مدحه للزبيريين والثناء عليهم ، بل شاركه شعراء آخرون امتدحوهم طمعاً في أعطياتهم أو أعجبوا بسيرتهم منهم النابغة الجعدي الذي امتدح سيرة عبد الله بن الزبير وإعادته لسيرة الخلفاء الراشدين في اهتمامهم بشؤون المسلمين ورعايتهم للفقراء متخذاً العدل مبدأ يقول النابغة :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاح معدمُ
وسويت بين الناس بالحق فاستووا فعاد صباحاً حالك الليل مظلمُ
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاةِ عثمثمُ
لتجبر منه جانباً ذعذعت به صروف الليالي والزمان المصمّمُ [٥٥]

والملاحظ في البيتين الأخيرين أنهما يظهران حقيقة الشاعر ، فهو لم يختلف عن غيره من مداحي البلاط الأموي . ما يهمه هو عطايا الزبيريين له .

ومن شعراء الزبيريين . أعشى همدان . الذي يهاجم حركة المختار الثقفي فوسمه بالضال والمشعوذ ، كما يصف جيشه بشِرط الكفر ثم يعلن مبايعته لزعيم الزبيريين عبد الله بن الزبير ،والتي جاءت بعد إيمانه بالإسلام ، فيقول :

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم بأشرطة الكفر عارف

[٥٤]) ديوان ابن الرقيات /ص ٨٩ .

[٥٥]) ديوان النابغة الجعدي/ ص ٢٠٤ .

وأقسم ما كرسيكم بسكينة | وإن كان قد لفت عليه اللفائف

وإني امرؤ أحببت آل محمد | وآثرت وحياً ضمنته المصاحف

وتابعت عبد الله لما تتابعت | عليه قريش شمطها والغطارف [٥٦]

٢- شعر الخوارج :

عاش الخوارج عيشة طبعت أشعارهم بطوابع ميزتهم عن بقية المعارضة السياسية الأخرى. إذ الدين الإسلامي يمثل عنصراً مهماً في شعرهم السياسي . بل يستمد منه مضامينه ، فقد كان أثر القرآن الكريم واضحاً فيه ، حيث اقتبسوا من صوره وألفاظه ومعانيه وكان شعر الخوارج ثواراً لا تحركهم العصبيات القبلية ،بل العصبية للعقيدة السياسية التي تجذّرت فيهم ، العقيدة التي تدعوهم إلى القتال والحرب ، ولكنهم من غير شك كانوا مغالين في عقيدتهم، فقد استحلوا دماء المسلمين . يجاهدون أنفسهم جهاداً كبيراً لطلب الشهادة . بل نجد الخوارج لا يرثون قتلاهم ولا يبكونهم . إذ القتل في رأيهم يحقق السعادة الأبدية وهذا ما يجعلهم يغبطونهم ويمجدونهم ، كقول أم عمران الراسي حين قتل ولدها :

الله أيد عمراناً وطهّره | وكأن عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سراً وإعلاناً ليرزقه | شهادة بيدي مِلحادَة غُدَر [٥٧]

لقد عبر الشعر الخارجي عن نظرية الخوارج السياسية التي تستمد مضامينها من حياتهم وجهادهم في سبيل عقيدتهم التي آمنوا بها ، كما أزاحوا كل الفوارق المجتمعية ، ونظروا إلى المسلمين بمنظور واحد والتفاضل بينهم هو معيار التقوى الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [٥٨] الذي تمثله شاعرهم عمران بن حطان حين قال :

فنحن بنو الإسلام والله ربنا | وأولى عباد الله بالله من شكر [٥٩]

بل الشاعر الخارجي يؤكد إخلاصه لدينه فهو مصدر فخره ، وانتمائه الحقيقي ويرفض كل أشكال العصبية القبلية والعرقية كافة . فيقول عيسى بن فاتك الخطي :

أبي الإسلام لا أب لي سواه | إذا فخروا ببكرٍ أو تميم

كلا الحيين ينصر مدعيه | ليلحقه بذي الحسب الصميم

وما حسب ولو كُرمت عروق | ولكنّ التقيَّ هو الكريمُ [٦٠]

---

[٥٦]) ديوان أعشى همدان /ص ١٤٢ .

[٥٧]) الأصفهاني / الأغاني ١٤٥/٦ .

[٥٨]) الحجرات/ ١٣

[٥٩]) شعر الخوارج /ص ١٣٨ .

[٦٠]) المصدر نفسه /ص ٧٢ .

وشعر الخوارج يرسم لقتيلهم صورة مثالية للمسلم الملتزم يستمدها من قيم الإسلام ومبادئه بعيداً عن الغلو أو المبالغة، بل صورة واقعية صادقة تعبر عن واقعها بحسب زعم شعرائهم . كما نجد مليكة الشيبانية التي ترثي أخاها وتبكيه فتقول :

من لجاراتك الضعاف إذا حل — بها نازل من الحدثان
من لضيف ينتاب من ظلمة الليل — إذا قل منزل الضيفان
سوف أبكي عليك ما سمعت أذناي — يوماً تلاوة الفرقان
أين من يحفظ القرابة والصهر — ويؤتى لحاجة اللهفان
ويحوط المولى ويصطنع الخير — ويجزي الإحسان بالإحسان
ويكف الأذى ويبتذل المعروف — سمح اليدين سبط البنان [٦١]

ومن شعراء الخوارج الطرماح الذي يعتد بالعصبية القبلية، فكأنما كان المذهب الفكري للخوارج يأتي على هامش من حياته . وهو بذلك يبعد عن مذهبهم الخارجي . ومع ذلك نجده يستشعر عقيدتهم أحياناً . في تمنيه الخروج إلى ساحة الوغى . فيقول :

وإني لمقتاد جوادي وقاذفٌ — به بنفسي العامَ إحدى المقادفِ
لأكسبَ مالاً إذ أؤولُ إلى غنىً — من الله يكفيني عِدات الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن — على شرجع يُعلى بخُضر المطارف[٦٢]

فالطرماح يسأل الله أن يتوفاه في ميدان الحرب مستشهداً، غير أنه يشي في أبياته ما يوحي أنه لم يكن مخلص النية فهو يفكر في الحياة الدنيا وزخرفها من مالٍ ومتاع .

وهكذا الشعر الخارجي تتدفق منه حماسة كبيرة نابعة من إيمان عميق وشعور عالٍ بالتضحية في سبيل عقيدتهم لتحقيق النصر أو الشهادة . معبراً عن زهد الخارجي في الحياة ورغبة عالية في نيل الشهادة فيقول قطري الفجاءة :

حتى متى تخطئني الشهاده
والموتُ في أعناقِنا قلاده
ليس الفرار في الوغى بعاده
يا ربُّ زدني في التقى عباده
وفي الحياة بعدها زهادَه[٦٣]

[٦١])شعر الخوارج/ص ٢٨٥ .
[٦٢]) ديوان الطرماح /ص ٩٤ .
[٦٣]) شعر الخوارج/ ص ١٢٩ .

وهكذا ... ظلت القصائد السياسية في العصر الأموي تدور في فلك الفكر الإسلامي الجديد ، لأنها تعالج أمراً ذا صبغة دينية ، ألا وهو الخلافة التي جاء بها الإسلام الحنيف .

٣- الشعر الأموي :

بعد مقتل عثمان بن عفان (ﷺ) ، مضى الأمويون يطالبون بدمه للثأر من قتلته بحجة أنهم أصحاب حقٍ ودم فبويع بالخلافة علي بن أبي طالب . فانشق عنه من انشق . وبهذا الحدث تفرقت الجماعة الإسلامية إلى فرق ، وتطورت الظروف بعد مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (ﷺ) . فبايع الناس معاوية بن أبي سفيان ، فأصبحت السلطة بيد الأمويين الذين واجهوا معارضة شديدة . فازدادت حدة بعد تغير النظام السياسي بجعل منصب الخلافة أمراً وراثياً أُسرياً . بعد أن كانت شورى إسلامية إبان الخلافة الراشدة المباركة .

وفي هذه الأثناء وقف الشعراء مع المعارضة بمختلف فرقها من زبيريين ، وشيعة ، وخوارج يظهرون نظرياتهم السياسية والنيل من الأمويين باغتصابهم الخلافة ، وإظهار سلوك خلفائهم الذي لا يتناسب مع منصب الخلافة الديني.

ومن هنا فقد حرص خلفاء بني أمية على توجيه شعرائهم بإظهار المعاني الإسلامية عند مدحهم . وذلك لإظهارهم بصورة مثالية متفقة مع مركز الخلافة ورداً على ما يدعيه خصومهم ، لذا فقد استجاب الكثير من الشعراء .

وقال الأخطل :

تمت جدودهم والله فضلهم ... وجَدُّ قومٍ سواهم خاملٌ نكِدُ

هم الذين أجاب الله دعوتهم ... لما تلاقت نواصي الخيل فاجتلدوا[٦٤]

لم يتردد شعراء بني أمية من تصوير الخلافة حقاً لهم ، لأن الله تعالى فضلهم على الناس ، واختارهم لها ومنهم من ينزع إلى أن حكم بني أمية أمر محتوم فهو قضاء الله وقدره ، فلا بد من إنفاذه ، ولا مناص للناس من الإذعان والتسليم له ، مهما اتسم الحاكم بالظلم والجور إذ يعد ذلك اعتراضاً على قدر الله وإرادته . فهذا جرير يردد هذه الفكرة بمدح عبد الملك بن مروان بقوله :

الله طوقك الخلافة والهُدى ... والله ليس لما قضى تبديلُ

إن الخلافةَ بالذي أبليتُمُ ... فيكم فليس لملكها تحويل[٦٥]

ويقول أيضاً مادحاً الوليد بن عبد الملك :

إن الوليد هو الإمام المصطفى ... بالنصر لزَّ لواؤه المغنم

[٦٤]) شعر الأخطل ٤٤٢/٢ .

[٦٥]) ديوان جرير /ص ١٩٦ .

ذو العرش قدّر أن تكون خليفةً ملِّكْت فاعلُ على المنابر وأسلمِ[٦٦]

ولقد أضفى شعراء بني أمية على خلفائهم من الصفات والقيم الإسلامية التي تظهر التزامهم الديني . ومن أبرزها صفة العدل المرتبطة بسلطة الحاكم التي يقتضي أن يتصف بها .

فهذا جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

أمير المؤمنين قضى بعدل أحلّ الحلَّ واجتنب الحراما
أتمَّ الله نعمته عليكم وزاد الله ملككم تماماً
وبارك في مسيرتكم مسيراً وبارك في مقامكم مقاماً
فيا ربّ البريةِ أعطِ شكراً وعافية وأبقِ لنا هشاماً[٦٧]

كما أشاد الشعراء بحرص الخلفاء على إقامة الفرائض الشرعية وتنفيذهم للواجبات الإسلامية . فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان في قصيدة يقول فيها :

لولا الخليفة والقرآن نقرؤه ما قام للناس أحكام ولا جمع
أنت الأمين أمين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابةٌ ورع
ما عَدَّ قومٌ بإحسان صنيعهم إلا صنيعكم فوق الذي صنعوا
أنت المبارك يهدي الله شيعته إذا تفرقت الأهواء والشيع[٦٨]

الملاحظ أن شعراء بني أمية قد وظفوا المفردات القرآنية في إشعارهم مظهرين تأثرهم بالقرآن الكريم ، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن الدين الإسلامي كان محوراً رئيساً في قصائد الشعراء الذين يعبرون عن خلفاء بني أمية بأنهم أهل صلاح وتقى . أما خصومهم فملحدون . ضالون . فسقة .

٤. شعر الشيعة :

من يقرأ الشعر الشيعي يجده مطبوعاً بطابع الحزن فهو بكاء ودموع وزفرات على مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وزيد بن علي (رضي الله عنه) ونجدهما من أئمة المسلمين الذين سفك الأمويون دمهم ، فلم يرعوا فيهم إلاً ولا ذمة ، فهذا سليمان بن قتّة الذي يرثي الحسين (رضي الله عنه) فيقول :

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها كعهدها يوم حُلَّتِ
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزية وقد عظمت تلك الرزايا وجَلّتِ[٦٩]

[٦٦]) المصدر نفسه ٧٠/١ .
[٦٧]) ديوان جرير ص/ ٩٠ .
[٦٨])المصدر نفسه/٢٩٥ .
[٦٩]) مقاتل الطالبين / لأبي فرج الأصبهاني ص ١٢١ .

ويعد الكميت بن زيد الأسدي، الذي ولد بالكوفة سنة ٦٠ هجرية شاعر الشيعة الأول، بدأت صلته بالهاشميين حين مدح علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وزيد بن علي بن الحسين (رضي الله عنه) ، وقد عاش الكميت وقد أشرب قلبه حب الهاشميين وهو يدافع وينافح عنهم ، بل ينكر على نفسه مدحه القديم ، وهو يقول :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا تعباً مني وذو الشيب يلعبا
ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولم يطرّبني بِنان مخضب
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب
بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب[٧٠]

للكميت ديوان شعر عبر فيه عن ولائه لبني هاشم مقرراً أحقيتهم بالخلافة ومصوراً الأمويين بصورة المغتصبين لها كما عبر في هاشمياته عن فهم عميق لقضية الخلافة[٧١] .

بل عبر عن وضوح تام لمبادئ الإسلام السامية من منظوره السياسي ، حيث أضفى هالة دينية على بني هاشم لقرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأشاد بالقيم الإسلامية التي تحلى بها بنو هاشم ، كالعدل والزهد . والورع ، والتقوى . والبعد عن الفحش ، والنميمة ، فضلاً عن صفات أخرى مما تجعلهم أولى الناس بالإمامة من غيرهم .

ويقول الكميت :

هينون لينون في بيوتهم سنخ التقى والفضائل الرتبُ
والطيبون المبرؤون من الآفة والمنجبون والنجّبُ
والسالمون المطهرون من العيب ورأسُ الرؤوس لا الذنَبُ
وليس التفحش من شأنهم ولا طيرة الغضب المغضب
ولا الطعن في أعين المقيلين ولا في قفا المدبر المذنب[٧٢]

أما هجاء الكميت لبني أمية ، فإنه يصفهم بوصف مناقض للصورة التي صور بها بني هاشم . حيث كان يكيل لهم التهم بمخالفتهم لشرع الله تعالى ، وتعطيل أحكامه ، والظلم في معاملة الرعية بل يذهب إلى تجريدهم من الصفات الإسلامية التي ينبغي أن يتصف بها الحاكم المسلم .

يقول الكميت :

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبرٌ بعد الإساءةِ مقبلُ

[٧٠]) الكميت الهاشميات /ص ٣١ .

[٧١]) أثر الإسلام في موضوعات الشعر الاموي /ص ١٢٢ .

[٧٢]) الكميت /الهاشميات/ ص ٦٠ .

وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمّلُ
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدلُ
فيا ساسةً هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقولُ
أ أهل كتاب ونحن فيه وأنتم على الحق نقضي بالكتاب ونعدِلُ[٧٣]

ثالثاً :– شعر الغربة والحنين :

مفهوم الغربة والاغتراب جرى على أقلام كتاب الأدب ونقده ، ومنذ الجاهلية اتضحت ملامح الوطن عند شعرائها، بل حدود الرياض ومرابعها، والحنين إلى الديار وهي الوطن، فإذا ما غزا الشاعر أو رحل، فسرعان ما يحسُّ بالغربة والشوق والحنين إليه ، بل قد يشرك الشاعر الجاهلي ناقته في هذا الحنين والشوق والإحساس بالاغتراب .

فهذا شاعر الجاهلية أمرؤ القيس يحن إلى الديار وأهلها ، حينما توجه إلى بلاد الروم ، فيصف شوقه كلما جاوز مدينة وهو في الطريق إليها فيقول :

سما لك شوق بعد ما كان أقصراً وحلت سليمى بطن قوٍ فعرعرا
كنانية بانت وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحي يعمرا
تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت على خملي خوص الركاب وأوجرا[٧٤]

وبعد ظهور الإسلام . هاجر المسلمون من مكة إلى يثرب ، فشعروا بالغربة والحنين والشوق إلى مكة فيها بيت الله الحرام فهذا ابن أم مكتوم عمرو بن قيس يطوف بالبيت ويتغنى بحب مكة فيقول :

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها ترسخ أوتادي أرض بها أمشي بلا هادي[٧٥]

وهذا بلال بن رباح الحبشي الذي أصابته الحمى وهو من المدينة يرجو بأمانيه للمبيت في أماكن بمكة ويشرب من ماء مجنة والشوق يغمره إليها فيقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وعندي أذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل[٧٦]

[٧٣]) المصدر نفسه /ص ٧٧ .
[٧٤]) ديوان امرؤ القيس /ص ٥٦ .
[٧٥]) معجم البلدان / شهاب الدين الحموي / ١٨٧/٥ .
[٧٦]) المصدر نفسه /١٨٣/٥ .

ومن شعراء صدر الإسلام عروة بن حزام المتوفى سنة (٣٠هـ) يصور مقابلة بين هواه وهوى قلوصه . فالشاعر شوقه إلى العراق حيث حبيبته ، وحنين ناقته إلى وطنها اليمن . فهما يشعران بالشوق والحنين إلى وطنيهما ولكن باتجاهين مختلفين .

فيقول الشاعر:

هوى ناقتي خلفي وقَدَّامي الهوى وإنِّي وإياها لمختلفان
هواي عراقيٌّ وتثني زمامها لبَرقٍ إذا لاحَ النجومُ يمانِ
هوايَ أمامي ليس خلفي مُعَرَّجٌ وشوقُ قلوصي في الغُدُوِّ يمانِ[٧٧]

والغربة والاغتراب في العصر الأموي برغم ظهور دولتهم التي طبعت بطابع إسلامي ، إلا أنها ظلت بمجملها العام شبيهة بعصر ما قبل الإسلام مع أن الاغتراب ازدادت أسبابه بسبب الفتوحات الإسلامية أو الهروب من ظلم الولاة وقسوتهم والاغتراب لأجل طلب الرزق فضلاً عن الصراعات الداخلية والفتن بسبب سلطة الخلافة .

وقد يكون من دواعي الغربة الضغوط الاجتماعية كالعبودية وعقدة اللون وظلم السعاة لحقوق الناس والتعالي عليهم مما جعلهم يفضلون الاغتراب والعيش في تشرد ، وقد صوّر ذلك مالك بن الريب المتوفى (٦٠هـ) الذي عبّر بكل جرأة عن ظلم السلطان في أخذ حقوق الناس ، ويمنع عنهم ما يُوجب ذلك .

أحقاً على السلطانِ أمّا الذي لهُ فيعطى وأما ما يُرادُ فيمنعُ[٧٨]

ونجد في شعر العشاق حنيناً وشوقاً وغربة واغتراباً وهم بين قومهم وديارهم وفي بعدهم ونفيهم . فهذا قيس بن الملوح المتوفى (٦٨هـ) حيث يحفل ديوانه بالشكوى من الغربة والاغتراب ، إذ يكرر مفردة الغربة في شعره لقسوتها وشدتها عليه فيقول :

أظلُّ غريب الدارِ في أرض عامرٍ ألا كلُّ مهجورٍ هناك غريبُ
أحبُّ هبوط الواديين وأنني لمشتهرٌ بالواديين غريبُ
ومستوحشٍ لم يمسِ في دار غربةٍ ولكنَّهُ ممَّن يَودُّ غريبُ
فلا تحسبي أن الغريبَ الذي نأى ولكنَّه مَنْ تنأينَ عنه غريبُ
فؤادي بين أضلاعي غريبُ ينادي مَنْ يُجبُّ فلا يجيبُ

ومن صور الغربة والاغتراب غربة السجن والأسر ، فهذا أعشى همدان يرسله الحجاج غازياً إلى الديلم ، فيقع في الأسر ويعيش مرارته وهموم الغربة فيزداد شوقاً لوطنه وأيامه السعيدة الناعمة ، فيقول الأعشى معزياً نفسه :

[٧٧]) شعر عروة بن حزام /ص ١٢ .
[٧٨]) المصدر نفسه/ ص ٢٧٥ .

وإذا تَصِبكَ من الحوادثِ نكبةٌ فاصبرْ فكل مصيبةٍ ستكشَّفُ
ولئن بكيتُ من الفراقِ صبابةً إن الكبيرَ إذا بكى ليُعَنَّفُ
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلانَ آبِي أن أضامَ وآنفُ
واستنكرتْ ساقي الوثاقَ وساعدي وأنا امرؤ بادي الأشاجعِ أعجفُ[٧٩]

ولم يمض الشاعر في أسره طويلاً فقد تمكن من الهروب بمساعدة امرأة أحبها ، فهربت معه ثم تزوجها .

لم يقتصر الحنين والشوق إلى الوطن والأهل والاغتراب عنهما على الرجال بل كثير من النساء يشتقن إلى أوطانهن، إذ الملاحظ على شوق النساء إلى الوطن حين ينتقلن من البادية إلى الحاضرة . وما ذكر من شعر الغربة والحنين من كتب الأدب والتاريخ كثير . لكن آثرنا أن نقف على قسم من نماذجه المعبرة رغبة في الإيجاز .

الخاتمة

وبعد ... لقد انتهت مبحثي البحث ، فلا بد من خاتمة تستخلص فيها القضايا التي تعرّض لها البحث **والنتائج** التي توصل إليها وهي :

- الهجاء الجاهلي كان يصدر عن روح قبلية تبادل الشعراء الطعن والتجريح بالأحساب والأنساب التي حاربها الإسلام ،فأصبحت الحياة في ظله نقية صالحة ، اصطبغ الهجاء بنزعة دينية ،فهو لا يقذف الاعراض ولا تسبي النساء ولا يتوعد بالدماء بل يحذر من عذاب جهنم.
- أما في العصر الأموي فقد ظهرت ملامح إسلامية جديدة على قصيدة الهجاء فهذا جرير في هجائه للفرزدق يعيره بالتعدي على حدود الله ، والفسق ، وارتكاب المحرمات وهناك معاني جديدة أخرى كالهجاء بالنصرانية وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، حيث أضفى الإسلام صبغة إسلامية جديدة على غرض الهجاء .
- سارت قصيدة المديح في عصر صدر الإسلام على وفق نهج القصيدة الجاهلية في أحيان كثيرة لكنها اقتبست معاني إسلامية جديدة كوصف الممدوح بالتُّقى والصلاح والزهد ، وحبه الجهاد في سبيل الله وغيرها من صفات المؤمنين التي ذكرها القرآن الكريم . أما في العصر الأموي فقد ظهرت مضامين جديدة في قصيدة المديح كإقامة الفرائض الإسلامية ، وبناء المساجد ، والثناء على ضرب العابثين في الدولة .
- ظلت قصيدة الرثاء في عصر الرسالة ملتزمة بالتقاليد الجاهلية مع المزاوجة لعناصر إسلامية بارزة كالتعزية والصلاة والدعاء له بالمغفرة ، وفي العصر الأموي تطور الرثاء متمثلاً في بروز معاني إسلامية تصدر عن روح الجماعة المؤمنة ، في الوقت الذي تضاءلت فيه المعاني الجاهلية . إذ اصطبغ الرثاء بالصبغة

[٧٩]) الأغاني ٦/٤٥ .

الإسلامية فأضحت أساساً في تأبين الشهداء والبكاء عليهم .

- الفخر : يرتبط الفخر بالهجاء ارتباطاً وثيقاً ، فكما يهجو الشاعر قبيلة ما ،يندفع فيتغنى بمكانة قبيلته وفضائلها وقدراتها الحربية . وفي عصر صدر الإسلام سار الفخر على منوال الفخر الجاهلي ، وهو أمر يقتضيه الواقع التاريخي للشعراء ،ومع ذلك نجد فخراً إسلامياً صرفاً يتحدث الشاعر عن نعم الله تعالى ،وعن وقائع المسلمين في الحرب واعداً قريشاً بحروب طويلة ، ومن الشعراء من يفخر بحياته في ظل الإسلام مجاهداً وساعياً في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بعدما كان يعيش في ظل الوثنية .

عادت العصبية القبلية للفخر في عصر بني أمية وأصبح المحرك الأساسي له بعد أن ألغاها الإسلام . ولكن هذا لا يعني أن الفخر الأموي أضحى جاهلياً محضاً ، بل ظهرت ملامح إسلامية عليه كالفخر بالشعائر الإسلامية والانتماء العقدي والمصير الذي يؤول إليه المؤمن بعد الشهادة في سبيل الله أو يفخر الشاعر بانتمائه إلى الرسول (ﷺ) بالعشيرة أو النسب وكل هذه الملامح نتيجة لتأثير الإسلام على شعرائه .

- **الموضوعات الجديدة :**

لقد اضمحلت قصيدة الغزل في عصر صدر الإسلام أسوة ببقية الموضوعات الأخرى التي لا تنسجم في طابعها مع الروح الإسلامية وقيمه ، ومن أبرز ملامح التجديد في الغزل الإسلامي أنه أصبح موضوعاً مستقلاً بحد ذاته ليشمل القصيدة كلها ،بل هناك من الشعراء مَنْ لم يتجاوز شعره على الغزل كعمر بن أبي ربيعة ،حيث سار الغزل في تجاهين :الأول الغزل العذري ، والثاني الغزل الصريح الغزل المغرق في الحسيّة والتي تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه التي تدعو إلى الطهارة والعفة ،علماً أنه قد ترددت فيه بعض المعاني الدينية التي ترددت في الغزل العذري .

- تمثل القبلية العربية الكيان السياسي المستقل فهي أشبه بالدولة الصغيرة التي لها مصالحها وقد تصطدم بمعارضة من قبيلة أخرى ، فيسهم الشاعر بدوره بالدفاع عن مصالح قبيلته ،وحينما ظهر الإسلام توحّدت القبائل وأصبحت كياناً واحداً في ظل حكم الدولة الإسلامية ، وبعد مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) احتدم الصراع على الخلافة ونشأت أحزاب المعارضة السياسية ولعب فيه الشعر بدور كبير ،مما حدا بها إلى إعطاء فكرهم السياسي بعداً دينياً يتماشى مع حقيقة المشكلة التي يعالجونها ،فقد أصبح الدين الإسلامي محوراً رئيساً في قصائد الشعراء الذين يعبرون عن فكر الحزب متأثرين بالقرآن الكريم . وهذا ما لاحظه الباحث من دراسته للشعر السياسي الذي خلفه هذا الصراع .
- أما شعر الغربة والحنين جذوره جاهلية ،فقد أضحت ملامح الوطن وحدود الأرض ومرابعها هي وطن الشاعر وديارة ، فإذا ما غزا أو رحل ، فقد أحس بالغربة والحنين والشوق إليها . وبعد ظهور الإسلام . هاجر المسلمون إلى يثرب ، فشعروا بالغربة والحنين والشوق إلى مكة فيها بيت الله الحرام .

وفي العصر الأموي ازدادت أسباب الغربة والاغتراب بسبب الفتوحات الإسلامية أو الهروب من ظلم الولاة أو لأجل طلب الرزق فضلاً عن الصراعات والفتن بسبب سلطة الخلافة وقد يكون من دواعي الغربة الضغوط الاجتماعية كالعبودية وعقدة ومن صورها غربة السجن والأسر ، وغربة العشاق أو الغربة المقرونة بالموت بعدما يترك الميت وحيداً في قبره .

التوصيات : مواصلة رصد ظاهرة التجديد في الشعر الإسلامي والأموي موافاة للصورة الفنية ومضامينه وألفاظه الإسلامية بعد خروج العرب من جزيرتهم واختلاطهم بالأقوام الأخرى .

فهرسة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي .
٢. الأخطل الكبير حياته وقيمته الفنية ، الآفاق الجديدة، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٣. أدب السياسة في العصر الأموي ، دار النهضة ، مصر ، للطباعة والنشر .
٤. الاستيعاب . ابن عبد البر .
٥. أشعار اللصوص ، محمد نبيل طريفي . دار الكتب العلمية / بيروت .
٦. الإصابة . ابن حجر .
٧. الأغاني ، علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ط ١ .
٨. الأمالي ، القالي علي إسماعيل بن القاسم ، ط٢ دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ .
٩. آمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر الفرائد . الشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب ط١ . ١٩٥٤ .
١٠. البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر . ت عبد السلام هارون . الخانجي، القاهرة . ١٩٧٥.
١١. تاريخ الأدب العربي . العصر الإسلامي ، شوقي ضيف . المعارف . القاهرة ط ٢٣ .
١٢. تاريخ الرسل والملوك الطبري ، محمد بن جرير، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط ٤ .
١٣. تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، ط٥ . دار العلم للملايين .
١٤. الحيوان ، الجاحظ عمرو بن بحر . دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ . ١٩٨٧ ، ت/ عبدالسلام هارون . ط الحلبي / ط٢ .
١٥. ديوان ابن قيس الرقيات / عبد الله بن قيس الرقيات ، ت محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت .
١٦. ديوان ابن مفرغ الحميري، ت/عبد القدوس أبن صالح، الرسالة، ط٣، بيروت ١٩٩٣.
١٧. ديوان أبي الأسود الدؤلي ت محمد حسين آل ياسين/ دار الكتاب/ بيروت/ ط١/ ١٩٨٤ .
١٨. ديوان اعشى همدان واخباره، عبدالرحمن بن الحارث بن نظام، ت/ د.حسين عيسى، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٧ .

١٩. ديوان الفرزدق . دار بيروت للطباعة .
٢٠. ديوان امرؤ القيس، دار المعرفة، ط٢ ، بيروت .
٢١. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ت/ نعمان محمد أمين طه . دار المعارف .
٢٢. ديوان جميل بن معمر ت ٨٢ هـ ، ت / حسين نصار ، مكتبة مصر ، ١٩٧٩
٢٣. ديوان حاتم الطائي ، ت/ احمد رشاد ، دار صادر ، الكتاب العربي ،ط٢ .
٢٤. ديوان حسان بن ثابت / ت سيد حنفي حسنين . المعارف / القاهرة / ١٩٨٣ .
٢٥. ديوان عبد الله بن الزبير الأسدي ، ت/ يحي الجبوري / وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٤ .
٢٦. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الأندلس .
٢٧. ديوان عنترة ، ت محمد سعيد شداد .
٢٨. ديوان كعب بن زهير / دار الكتب المصرية ت/ حنا نصر.
٢٩. ديوان مجنون ليلى ، قيس ابن الملوح ، ت/ أحمد عبد الستار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
٣٠. شرح اشعار الهذليين ، ت/عبدالستار احمد فراج ، مكتبة دار العروبة
٣١. شرح القصائد الهاشميات / الكميت بن زيد الأسدي ، مؤسسة النعمان ، بيروت ١٩٧٩ .
٣٢. شعر الخوارج ، إحسان عباس ، ت /إحسان عباس ، الشروق ، ط٤ ، ١٩٨٢ .
٣٣. شعر النابغة الجعدي، ت/ عبد العزيز رباح ، المكتب الإسلامي، ط١ دمشق ١٩٦٤ .
٣٤. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ت أحمد محمد شاكر ط ٣ دار التراث العربي ١٩٧٧ .
٣٥. الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع الزهري / ت ٢٣٠هـ / دار بيروت ، بيروت ١٣٧٧هـ .
٣٦. العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ت أحمد أمين وآخرين ط٢ ، لجنة التأليف والنشر .
٣٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، ط٥ بيروت .
٣٨. قيس ولبنى شعر ودراسة ، جمع وتحقيق ، حسين نصار ، مكتبة القاهرة ١٩٧٩ .
٣٩. المخصص / ابن سيدة . الطباعة الكبرى .
٤٠. معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، دار صادر بيروت / ط٢ ، ١٩٥٥ .
٤١. المفضليات . المفضل الظبي .
٤٢. المقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد / ت ٨٠٨هـ ، دار الفكر والنشر .